الرؤية الإسرائيلية لمستقبل قطاع غزة

أ. أحمد خليفة

أود بداية أن أسجل ثلاث ملاحظات، قبل الحديث عن الرؤية المستقبلية لا بد من الإشارة إلى أن إسرائيل لم تكن معنية كثيراً بالحفاظ على القطاع، من كان معنياً بقطاع غزة كان اليمين الإسرائيلي واليمين المتطرف والمستوطنون. وأذكر في هذا المقام مقولة رابين الشهيرة التي تمنى فيها أن يستيقظ يوماً ويرى أن قطاع غزة قد غرق في البحر. كما أن شارون نفسه اقترح أيضاً الانسحاب من غزة في فترات سابقة. ومن ناحية أخرى فإنه يجب أن لا يغيب عن بالنا أن أي رؤية إسرائيلية بخصوص قطاع غزة ستكون جزءاً من الرؤية الإسرائيلية العامة لمستقبل دولة إسرائيل لأن الانسحاب له أهداف تتصل بالرؤية العامة والمنهاج العام، ويجب أن نبقي هذا الأمر في أذهاننا.

حين قلبت كل الدراسات والمواقف الصادرة عن المسؤولين الإسرائيليين فلم أجد رؤية مستقبلية محددة عند الإسرائيليين، لأنه من الصعب التنبؤ بما يمكن أن يحدث، لديهم سيناريوهات عدة تتراوح حول التعامل مع عدة احتمالات مستقبلية منها: حدوث فوضى داخل القطاع، حدوث اقتتال فلسطيني داخلي، استمرار المقاومة واستمرار حماس بإطلاق صواريخ القاسم على المستوطنات الواقعة بمحاذاة المنطقة الحدودية مع غزة، ولديهم خطط تفصيلية للتعامل مع كل هذه السيناريوهات، ولكن لم أعثر في أي مصدر إسرائيلي على ما يمكن أن نحدد من خلاله. ومن إحدى السيناريوهات المحتملة بالنسبة للإسرائيليين، قيام دولة فلسطينية قوية، وانسياب المساعدات من الدول المانحة، وبعدها يلتهي أهل غزة بتنظيم شؤون حياتهم اليومية وينسوا بقية فلسطين. ولكن بالإضافة إلى كل هذه السيناريوهات هناك مسائل حيوية تركز عليها إسرائيل مثل موضوع الأمن والمطار والمعابر، والميناء وموقف السلطة تجاه الفصائل الأخرى. وفي هذا الخصوص المواقف الإسرائيلية أولية أيضاً، ولكن أهم ما يريده الإسرائيليون ويصرون عليه، هو عدم وجود قوات أجنبية في غزة أو تدويل النزاع، حتى ولو قبلت إسرائيل بدور مصري أو أوروبي فإنه سيكون محدوداً. أما أهم شيء بالنسبة لإسرائيل فهو تجريد منظمات المقاومة من السلاح، وتفكيك بنيتها التحتية، وتوحيد قوات الأمن بحيث تكون تحت إمرة وزارة الداخلية إضافة إلى ذلك تعطي إسرائيل نفسها الحق بالقيام بعمليات وقائية وعمليات ردع داخل غزة الضفة. أما بالنسبة للعلاقات الاقتصادية والتجارية فإنها ستبقى خاضعة للاتفاقات المعقودة في أوسلو.

يبقى القول بأن هناك مواقف اضطرت إسرائيل أن تبديها لأنها ملحة بالنسبة لها، وخاصة الموقف من السلطة الفلسطينية الذي يعتبر المفتاح لفهم ما تريده إسرائيل بالنسبة لقطاع غزة وما يمكن وما لا يمكن أن يتحقق من المطالب. وسلوك إسرائيل تجاه السلطة منذ الانسحاب يفصح عن نواياها، إذ لم تقدم أي دعم للسلطة، فلا هي أفرجت عن أحد، ولا أزالت حواجز ولا أوقفت عمليات الاغتيال. كما أنها تبدي معارضة شديدة على

مشاركة حماس في الانتخابات والتعامل معها. ومن ناحية أخرى تتبنى إسرائيل تجاه أبو مازن نفس الموقف الذي تبنته تجاه عرفات. ومن المعروف جيداً أن الانسحاب جرى في إطار خطة الفصل، ودون تفاوض، والمحرك هو شارون أبو الاستيطان، فقد تخلى هو نفسه عن فكرة أرض إسرائيل الكاملة. ولكن ما هي الدوافع وراء ذلك؟ إن معرفة الدوافع أمر ضروري الإجابة عليه في إطار تحديد الرؤية المستقبلية، ويذكر هنا أن الإسرائيليين انسحبوا بسبب الهاجس الديموغرافي، وبسبب المقاومة الفلسطينية وما سببته من إرباك وما أثارته من مخاوف، وبسبب مواقف القيادة الفلسطينية في زمن عرفات، والتغيرات في البنية العسكرية والسياسية المحيطة بإسرائيل، والتغيرات التي تحدث في الدول المجاورة. كل هذا دفع اليمين الإسرائيلي إلى الانسحاب والتخلي عن قطاع غزة، حيث يطمح شارون إلى رسم حدود إسرائيل الحالية من الضفة الغربية.

تعقيب حلمي موسى:

في اعتقادي أن الفكرة الأساسية فيما يتعلق بالرؤية المستقبلية الإسرائيلية للقطاع، لها علاقة مباشرة بالموقف الإسرائيلي من خطة الفصل، كما أن لها علاقة أيضاً بموقف إسرائيل من السلطة الفلسطينية، وهو موقف مبني على المصلحة، فإسرائيل لا تريد سلطة فلسطينية واحدة، إذ إن مشروع شارون هو مشروع الكانتونات، وقد جاءت خطة الانسحاب في مرحلة من الجمود السياسي الإسرائيلي لتشكل خطة عقابية للفلسطينيين، انتقاماً منهم بسبب دورٍ كان من المفترض أن يلعبوه ولكنهم لم يفعلوا. خطة الانسحاب الإسرائيلي في جوهرها هي وسيلة للبحث عن سبل لتطويع الإرادة الفلسطينية الواحدة وتقسيمها إلى إرادات مختلفة يتقاسمها النفوذ الأردني والمصري. وغزة لم تكن عبئاً على إسرائيل، بل أصبحت عبئاً فيما بعدما عجز الإسرائيليون عن استيعاب القطاع، والحديث عن غزة كعبء، لم يسمع إلا ما بين عامي 85 و89. إن أي محاولة لقراءة الموقف الإسرائيلي يجب أن تمر بقضية المعابر، لقد كان الإسرائيليون يتمنون أن يخطئ الفلسطينيون والمصريون ويفتحوا الحدود فيما بينهم، إذا كان ذلك ليسمح لإسرائيل أن تقطع الاتصال الجغرافي بين غزة وباقي فلسطين بخلاف ما اتفق عليه.

المداخلات:

صلاح صلاح: سأحاول أن أرى الخطوات العملية الناتجة عن خطة إعادة الانتشار فما ترتب عملياً عنها أن المستوطنات أزيلت من الداخل واستمر الحصار والاغتيالات والمداهمات وفقدت المقاومة القدرة على الرد. الانسحاب لم يكن سوى خطوة تكتيكية اتخذها العدو لإفقاد المقاومة القدرة على تحقيق أي تقدم. من ناحية أخرى هناك أمر لم يُشر إليه أحد، وهو أن الخطوة التي نفذها شارون كانت من طرف واحد، وهنا يبرز تساؤل، ما هي الاستراتيجية الإسرائيلية القادمة، وماذا تريد إسرائيل من العرب؟ أنا أرجوكم أن نقرأ دائماً الاستراتيجية الإسرائيلية بكل أبعادها، إسرائيل تعمل ضمن رؤية استراتيجية متكاملة، ويجب علينا أن ندرس كيفية التعامل مع

الموضوع من وجهة نظر استراتيجية.

منير شفيق: لو أن الجلسة هذه عقدت قبل انسحاب شارون، هل كنا سنتحدث عن الاستراتيجية الإسرائيلية كما نتحدث الآن حول ما يريد العدو الإسرائيلي؟ إن استراتيجية شارون السابقة فشلت في إخضاع المقاومة وفرض وضع جديد فلسطينياً وعربياً، فجاءت خطة الانسحاب نتيجة ضغط. يجب علينا أولاً أن نعطي الفضل لاستراتيجية الانتفاضة والمقاومة التي نجحت في إجبار إسرائيل على تغيير أجندتها. إن لدى إسرائيل استراتيجية كلية، وهي أن تأخذ كل فلسطين وتخليها من السكان، ثم تسيطر على الوضع العربي والإسلامي وتجزئته إلى فسيفساء.

عبد الله عطوات: لاحظ غياب أي كلام عن الرؤية المستقبلية كما كان مطروحاً في العنوان.

رأفت مرة: لا بد من الإشارة إلى أن الانسحاب حصل بفعل المقاومة والانسحاب يعبر عن فشل سياسة الدمج، وهو انسحاب من الحدود الأساسية التي يتبناها الكيان. هناك ثلاث أمور أساسية يجب التركيز عليها بعد الانسحاب، وهي كيف نحافظ على دور غزة، وكيف نطور الأداء السياسي الفلسطيني، وكيف نتصدى لأي خطوة إسرائيلية سواء قام بها شارون أو غيره من أجل اختراق السلطة الفلسطينية سياسياً.

د. وحيد عبد المجيد: أهمية هذا النوع من الحلقات أنه يعنى بالمستقبل، ولذلك في موضوع مناقشة الرؤية الإسرائيلية من المهم جداً أن نناقشها في أبعادها الاستراتيجية. هناك مشروع كبير جداً فيه تنوع وفيه رؤى متعددة، كتقسيم غزة بين الأردن ومصر مثلاً، وهذه رؤى استراتيجية تحتاج إلى مناقشة لأن المعنيين بهذا الأمر قلائل. نحن إزاء صراع طويل وسيستمر، بينما نحن نتعامل مع أي موقف وكأنه سيحسم اليوم أو غداً، وبالتالي تكون رؤيتنا على قدر هذا الامتداد، ومن أهم أسباب تعثرنا أننا لم نضع رؤية استراتيجية حيث تعاملنا في صراعنا مع الصهاينة بسياسة إدارة الأزمات، ولم ننظر إليه كصراع استراتيجي طويل المدى، وهذا هو الفرق بيننا وبين العدو.

ماجد أبو دياك: فيما يتعلق بالمستقبل أعتقد أن شارون أراد أن تقوم عملية تسوية جديدة قائمة على فرض أجندة من طرف واحد تفرض نفسها على الصراع للحيلولة دون قيام دولة فلسطينية حقيقية أو استقلال حقيقي وعدم تقديم استحقاقات حقيقية. لا يوجد إجماع إسرائيلي على رؤية واحدة بل أكاد أجزم أنه لا رؤية استراتيجية عند الإسرائيليين فكما غيرت الانتفاضة موقف الإسرائيليين من قطاع غزة فإنها ستغير أموراً أخرى أيضاً. سيكون الانسحاب اختباراً وامتحاناً للسلطة الفلسطينية، فإسرائيل لا تريد سلطة فلسطينية قوية بل تريد سلطة تابعة أو عميلة لها.

أحمد نوفل: شارون يهدف إلى فصل مستقبل قطاع غزة عن المفاوضات.

محمود سويد: الانسحاب هو جزء من المشروع الصهيوني المرحلي لشارون وحكومته، ومع عدم وجود شريك فلسطيني قوي، يستطيع شارون أن ينفذ باقي مشروعه بالضفة الغربية والقدس دون أي عراقيل وبدعم من بوش. نضجت فكرة الانسحاب من غزة من خلال موضوع الكثافة السكانية، حيث قال شارون أنه لم يعد بالإمكان تحقيق مشروع إسرائيل الكبرى بسبب الكثافة السكانية

الفلسطينية، وباعتقادي لا يمكن أن يأتي شخص بعد شارون ويقوم بأكثر مما قام به، ومع ذلك لم يستطع شارون القضاء على المقاومة.

صقر أبو فخر: غابت عن الورقة الأساسية والتعقيب فكرة الدولة المؤقتة، فهي ما زالت قائمة حتى الآن ويتم تداولها، وهي تقوم على أساس حل يتلاءم مع وعد بوش بإقامة دولة فلسطينية في فترة قريبة، حيث تقوم للدولة حدود ومشكلات ذات طابع حدودي، تشغل الفلسطينيين عن الصراع الأساسي.

هشام دبسي: اعتقد أن الأمر يحتاج لدراسة قضية التحولات داخل المركز الإسرائيلي، وتتبع العقد الماضي. لم يكن لدى إسرائيل أي تصور للحل المباشر، بل كانت تقوم بمبادرات اعتراضية لتعطيل كل شيء إلى أن ينضج الصراع الإسرائيلي وتتبلور اتجاهاته. رؤيتنا للانسحاب الإسرائيلي أنه قرار إسرائيلي وليس تنفيذاً لقرار دولي، وقد فر فرضاً على الواقع الميداني وكان علينا المحافظة على كل قطعة أرض يخرج منها العدو الإسرائيلي. إرادة شعبنا وصمود المقاومة في وجه الاحتلال هو ما أجبر إسرائيل على الرحيل. العامل الثاني كان إسرائيلياً فقد أراد الإسرائيليون أن يقدموا شيئاً للعالم يوهمونه من خلاله بأنهم أصحاب سلام، ولكن هل هو قناعة؟ الإسرائيليون احتلوا غزة اثنان [ثمان] وثلاثين عاماً، ولولا أهمية القطاع بالنسبة لهم لما استمروا بهذا الاحتلال. هناك مشروع إسرائيلي يهدد الساحة الفلسطينية ولذلك عندما كان آخر انسحاب لم ترض السلطة الفلسطينية بإقامة أي احتفال رسمي بالانسحاب.